



College of Basic Education Research Journal

www.berj.mosuljournals.com



Dialogue Implication in the collection of short stories "Fawq Billad _Alsawad" by Azhar Zarzis

Hammadi khidher Abdullah

Gifted school/Nineveh

Article Information

Article history:

Received: October 3.2023

Reviewer: October 30.2023

Accepted: November 19.2023

Key words :

Abstract

This research focuses on theory of dialogic implication as an important pillar of pragmatics that studies linguistic activity and its relationship to language users. The study tackles a number of questions, perhaps the most prominent of which is how speaker can mean more than what he says, or mean other than what he says, and tries to find an approach in creative texts full of irony and sarcasm in the above mentioned collection of stories (Fawq Bilad al-Sawad) by Iraqi writer Azhar Zarzis. The study was divided into two sections preceded by an introduction. and followed by a conclusion, the first part dealt with emergence of deliberative , origins of dialogical implication, its principles and its roots in Arab heritage, while the second concerned with practical side of dialogic implication in collection of stories (Fawq Bilad al-Sawad).

Correspondence:

ISSN: 1992 – 7452

الاستلزام الحواري في المجموعة القصصية "فوق بلاد السواد" لأزهر جرجيس

حمادي خضر عبد الله

مدرسة مبحث الموهوبين/ نينوى

ملخص البحث

هذا البحث يقف عند نظرية الاستلزام الحواري بوصفها ركناً مهماً من أركان التداولية التي تدرس النشاط اللغوي وعلاقته بمستعمله. ويجيب على جملة من الأسئلة لعل أبرزها كيف يمكن للمتكلم أن يقصد أكثر مما يقول، أو يقصد خلاف ما يقول، ويحاول إيجاد مقاربة في نصوص إبداعية مليئة بالسخرية والتهكم في المجموعة القصصية (فوق بلاد السواد) للكاتب العراقي أزهر جرجيس، وانقسمت الدراسة إلى مبحثين تسبقهما مقدمة وتتلوها خاتمة، تناول الأول نشأة التداولية وأصول الاستلزام الحواري ومبادئه وجذوره في التراث العربي، في حين اقتصر المبحث الثاني على الجانب التطبيقي للاستلزام الحواري في المجموعة القصصية (فوق بلاد السواد).

مقدمة

لا شك أن ظاهرة الاستلزام الحواري تحظى بعناية كبيرة من طرف الدارسين والباحثين التداوليين المهتمين بالخطاب وآليات تحليله، فهذا المحور من التداولية يهتم بالمعنى ودلالته في حين أن التداولية تهتم اهتماماً كبيراً بالمتكلم ومقاصده.

وعليه تمثلت أهمية البحث في دراسته للغة بوصفها ظاهرة تواصلية تتحكم في فهم واستيعاب مقاصد الخطاب غير المباشر مع معرفة مدى قابلية الخطاب في النص الأدبي الحواري لآليات التواصل الضمني. وكان سبب اختيار هذه المجموعة القصصية كنموذج تطبيقي لهذا البحث لأنه يخدم مسعى بحثي في إمكانية مقارنته للدرس التداولي، أي مقارنة القصة القصيرة لظاهرة الاستلزام الحواري لأنني وجدت بها عدة أساليب استعملها الكاتب لإخفاء المعنى الحقيقي في معان حرفية مباشرة.

المبحث الأول

التداولية:

التداولية مصطلح جديد ازدهر في مساحة واسعة من مساحات الدرس اللساني الحديث والمعاصر، يهتم بدراسة استعمال اللغة، ويعود مصطلح التداولية بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس) الذي استعمله سنة ١٩٣٨، دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات، وهذه الفروع هي:

١. علم التركيب: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
 ٢. علم الدلالة وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحليل إليها.
 ٣. التداولية: والتي تهتم بدراسة العلامات بمستخدميها أو مفسريها.
- على أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد، هم: أوستن وسيرل وغرايس.
- فأقدم تعريف لها هو تعريف (تشارلز موريس) سنة ١٩٣٨ إذ يقول: " عن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"^(١). وهذا تعريف عام يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي، وذلك بوصف التداولية جزءاً من السيميائية، وهناك تعريف آخر لـ (ماري ديير) و(فرانسوا ريكاناتي) وهو أن التداولية " دراسة استعمال اللغة في الخطاب

(١) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٦.

شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية^(٢)، فهي تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها، وعرفها (فرانسيس جاك) بقوله: "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً"^(٣).

وقد حدد جورج يول^(٤) جملة من التعريفات حاول عبرها رسم حدودها وامتدادها، إذ أشار إلى أن التداولية تعنى بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم، ويفسره المستمع، لذا فإنها تهتم بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من اهتمامها مما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ، وعليه فإنها دراسة لمقاصد المتكلم، إذ إن التداولية تعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والسامع. فإذا قال شخص أنا عطشان، فقد يعني: احضر لي كوباً من الماء، وليس من اللازم أن يكون اخباراً بأنه عطشان، فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما نقوله كلماته^(٥)، فهي إذن دراسة اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم، ويقتضي هذا الميدان من الدراسة بالضرورة تأويل ما يعنيه الناس ضمن سياق محدد وكيفية تأثير هذا السياق على ما يقال، ويتطلب أيضاً التمعن في الآلية التي ينضم عبرها المتكلمون ما يريدون قوله وفقاً لهوية التذي يتحدثون إليه ومكانه وزمانه وتحت أية ظروف، ومن ثم فإن التداولية هي: دراسة المقاصد السياقية، ويقتضي في هذا المنهج أيضاً التعمق في الكيفية التي يصوغ عبرها المستمعون استدلالاً حول ما قيل حول ما قيل للوصول على تأويل المعنى الذي يقصده المتكلم. وبإمكاننا القول إن التداولية هي دراسة المعنى الخفي، ومن ثم فإنها دراسة كيفية إيصال أكثر مما يُقال، وهذا يُفهم من تحليل ما يقصده المتكلمون بوساطة ما يستعملونه من تعابير في سياقها العام، فالمقصود دراسة المعنى الذي يعنيه المتكلم وليس المعنى التركيبي الحرفي، فيُعنى بتأويل ما يقصده المتكلمون من وراء أقوالهم في سياق محدد، وأثر السياق فيما يقال اعتماداً على نوع الأشخاص الذين يخاطبونهم ومكان الخطاب وزمانه وظروف إنتاجه^(٦). وعليه فالآليات التأويلية التي يستعملها المخاطب لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه تقوم على فرضية تنبني على مقاصده، إذ بدونها لا يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يُوجّه إليه^(٧). فأوجز تعريف للتداولية وأقربه للقبول هو "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل، لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأسلاً في

^(٢) المقاربة التداولية: ٨.

^(٣) المصدر نفسه: ٨.

^(٤) ينظر: التداولية: ١٦.

^(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٢-١٣.

^(٦) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية: ٢٢.

^(٧) ينظر: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ١٠١.

الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما^(٨). ومن المفيد أن نشير إلى ما ذكره (جون ديوي) وهو قوله: "نجد تحت التداولية من حيث هي منهج توجهات مختلفة، ففي البدء كانت تعني بخصائص استعمال اللغة، أي: الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه... وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثم تحولت فيما بعد مع (أوست) إلى دراسة أفعال اللغة، إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحوارية"^(٩).

وعلى الرغم من تعدد المصطلحات الدالة على التداولية، فقد اشتهر مصطلحان عن بقية المصطلحات الأخرى، هما: مصطلح التداولية وهو مصطلح عربي، ومصطلح آخر غربي (فلسفي) وهو مصطلح (البراجماتية) وهو تعريب لمصطلح (pragmatism)، إذ يقول نعمان بوقرة: "وهناك من يستعمل مصطلح اللسانيات التداولية للدلالة على البراجماتية، وهي تعني عند بعضهم (البراكسيس) وتهتم بإدماج السلوك اللغوي داخل نظرية الفعل، وتولي أهمية بالغة للجانب التواصلية للغة والتفاعل بين الأعضاء الحية"^(١٠). ولتداولية الخطاب معنيان، هما:

الأول: المعنى الحرفي.

الثاني: المعنى المستلزم.

وهما نمطان لمقاصد الخطاب "وقد يعبر عنها تبعاً للسياق بمقصود النص، أو مقصود الآية، أو مقصود الحديث، ويستعمل هذا الاصطلاح خاصة عندما يتوارد على النص الشرعي معنيان يكون أحدهما غير مقصود، والآخر هو المقصود، وقد يكون المعنى الأول الظاهر وهو المتبادر إلى الفهم، ولكن بمزيد من التأمل والتدبر وبالاحتكام إلى القرائن التفسيرية المساعدة يتبين أن للنص مقصوداً غير ما يتبادر إلى الذهن من ظاهر الألفاظ، فيقال حينئذ المقصود كذا أو مقصود النص كذا"^(١١)، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز.^(١٢)

^(٨) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤.

^(٩) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٥.

^(١٠) المصدر نفسه: ١٦٦.

^(١١) مدخل إلى مقاصد الشريعة: ٩.

^(١٢) ينظر: نظم الدرر: ١١/١.

الاستلزام الحواري

عنت الدراساتُ التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، لكن اتفق الباحثون على أربعة جوانب وهي: الإشارات، والافتراض المسبق، والأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري. ويعد الاستلزام الحواري من المصطلحات الحديثة التي ظهرت على يد أحد علماء الغرب (غرايس) حيث يقوم هذا المصطلح بدراسة معنى الجملة من خلال منظورين: أحدهما ظاهر والآخر ضمني، انبثق مفهوم الاستلزام الحواري أول مرة على يد (بول كرايس) من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد وذلك في عام ١٩٦٧م، والتي كانت بعنوان (المنطق والتخاطب) وقد حاول (غرايس) أن يضع نحواً قائماً على قواعد تداولية الخطاب تأخذ على عاتقها الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، فيؤكد على أنَّ التأويل الدلالي للخطاب ضمن اللغة الطبيعية أمر متعذر، إذ نظر فيه إلى الشكل الظاهر لهذا الخطاب^(١٣)، وبهذا اقترح الأخذ بعين الاعتبار معنى الجملة الصادرة من المتكلم وعلاقته بالمستمع، كما لا يمكن إغفال المقام الذي تتجز فيه الجملة، ولا ننسى مبدأ التعاون الذي نادى به (غرايس) ويكون من خلال إقامة علاقة تعاون بين المتكلم والمخاطب^(١٤) "ومفاد مبدأ التعاون أنَّ على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها للحصول المطلوب، إذ يجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الغاية من الحوار بينهما، فالتفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها بمقتضى التعاون القائم بين أطراف الحوار، وهو ما يتطلب أن يكشف المحاورون عن مقاصدهم"^(١٥).

وظاهرة الاستلزام الحواري تبدأ عندما "يقوم المتكلم بخرق مبدأ أو أكثر من مبادئ التعاون، وهذا الخرق يؤدي إلى انتقال دلالة اللفظ من معناه الظاهر إلى معنى غير صريح"^(١٦) وهذا الانتهاك لمبدأ التعاون يؤدي بالمتلقي البحث عن المعنى المطلوب في القول المطروح، ومع هذا الخرق يبقى المتكلم المخاطب مخلصين للمبدأ السابق إذا أن المتكلم في هذه الحالة حريص على إبلاغ المخاطب معنى محدد، والمخاطب بدوره يبذل قصارى جهده من أجل الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم من دون أن يضل أحدهما الآخر^(١٧). فمؤدى مبدأ التعاون هو "ليكن انتهاذك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه

^(١٣) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٥.

^(١٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٨.

^(١٥) الاستلزام الحواري عند ابن جني في كتابه الخصائص - مقارنة تداولية: ٧٣.

^(١٦) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ٢٣٨.

^(١٧) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود احمد نحلة: ٣٧.

الغرض منه^(١٨)، وخلاصة الأمر أن "مبدأ التعاون جزء لا يتجزأ من الاستلزام الحواري، كما أن العملية التواصلية لا تستقيم إلا بتوفرهما"^(١٩). أما خصائص الاستلزام الحواري كما ذكرها (غرايس) فهي قابليته للإلغاء، أي يمكن للمتكلم أن يضيف قولاً يفسد استلزام الجملة لمعنى معين، وبهذا يسد الطريق أمام المخاطب وهو بطريقه نحو الاستلزام الحواري أو يحول دونه، كما يتصف الاستلزام الحواري بكونه لا يمكن فصله عن المحتوى الدلالي^(٢٠)، ويقصد به "أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يُقال، لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها"^(٢١) بالإضافة إلى أن الاستلزام الحواري يتصف بقابليته للتأويل والتقدير، فتشير هذه الخاصية إلى العديد من الإجراءات التي يقوم بها المخاطب من أجل الوصول إلى ما يستلزمه كلامه بغية الوصول إلى المعنى المقصود، كما إن الاستلزام الحواري يتصف بسمه مهمة وهي عدم التوضيح، أي يتغير بتغير السياقات التي يُردد فيها ولا يملك وضعية ثابتة^(٢٢). "ويبقى أن نشير إلى أن أهم مميزات الاستلزام الحواري من حيث كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب أنه يقدم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة"^(٢٣). والاستلزام الحواري نوعان بحسب تصنيف (غرايس) هما: الاستلزام المعرفي النموذجي الذي يتعلق بعرف معاني الكلمات، وقد جرى العرف على استخدامه، ويسمى (الاقتضاء) أي: اقتضى استخدامه بهذا الشكل مهما تغيرت ظروف استخدام العبارة، فالمفسر بهذا النوع من الاستلزام يحتاج إلى علم عن التركيب فحسب، والمعنى المعجمي للكلمة مباشرة فهي عملية سهلة لا تتطلب من أصحاب اللغة سوى معرفة أن لبعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت السياقات وتغيرت التراكيب، مثل ذلك: زيدٌ غنيٌّ، لكنه بخيل، إذ يوجد استلزام عرفي نموذجي بلفظة (لكن) وهي تقتضي أن يأتي ما بعدها مخالفاً لما كان يتوقعه السامع، فزيد رجل غني لا يُتوقع منه البخل^(٢٤).

أما النوع الثاني من أنواع الاستلزام الحواري فإنه يعتمد على آلية استخدام الحوار، وهو يأتي عندما تأتي الجملة بمعنيين: أحدهما ظاهري والآخر ضمني، أي يدرس كيف للمتلقي أن يقول شيئاً ويعني به شيئاً

^(١٨) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٣٨.

^(١٩) أفعال الكلام في سورة مريم دراسة تداولية، حاددي صباح بوعنداس، رسالة: ٣٧.

^(٢٠) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٣٧.

^(٢١) الاستلزام الحواري في خطب نهج البلاغة الطوال (دراسة تداولية)، علي عباس فاضل، رسالة: ٣١.

^(٢٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٣٩.

^(٢٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٩.

^(٢٤) ينظر: النظرية البرجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة: ٨٩.

آخر، أو كيف للمخاطب أن يسمع شيئاً ويفهم شيئاً آخر، مثل حوار بين زوجين، تقول الزوجة هل ستمرّ عليّ بعد انتهاء عملك اليوم؟ يجيب الزوج: سأذهب إلى طبيب الأسنان، وهنا نجد أن الإجابة غير ملائمة للسؤال، إذ أن الإجابة تحل معنيين: أحدهما ظاهري وهو الذهاب إلى طبيب الأسنان، ولآخر ضمني وهو الاعتذار^(٢٥).

قواعد المبدأ الحواري (مبدأ التعاون)

حدّد (غرايس) ثلاثة شروط لكي يتحقق مفهوم الاستلزام:

١. أن لا يترك المتكلم المجال للمتلقّي بأن يشك أنه لا يحترم مبدأ التعاون.
٢. أن يدرك المتلقّي أنه لا يجب أن يتوقف عند المعنى المعجمي، إذ لابد أن يتعداه إلى المعنى السياقي.
٣. أن يفترض المتكلم أن المتلقّي قادر على استنتاج هذا المعنى غير الحرفي وذلك انطلاقاً من المعارف المشتركة بينهما^(٢٦).

انطلق غرايس من "كيفية إدارة الحوار واستقامته نحو تحقيق أهدافه التعاونية، فلم تعد نظرية الحوار نظرية اعتباطية، بل هي قائمة على معطيات عقلية ووسائل استدلالية"^(٢٧) حددها (غرايس) فيما أسماه بـ(مبدأ التعاون) وهو أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام^(٢٨)، "ليصف ما ينبغي أن يكون، لا ما هو كائن بالفعل في مجمل الحوارات والتفاعلات الإنسانية"^(٢٩)، ويشمل هذا المبدأ على أربعة مبادئ فرعية هي:

١. "مبدأ الكم: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.
٢. مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.
٣. مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.
٤. مبدأ الطريقة: كن واضحاً ومحدداً، فتجنّب الغموض، وتجنب اللبس، وأوجز ورتّب كلامك"^(٣٠).

^(٢٥) المصدر نفسه: ٩.

^(٢٦) الاستلزام الحواري في كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق عام الأصول للشوكاني _مقاربة غرايسية، زهوة عاشور، الجزائر، ٢٠١٤: ١٤.

^(٢٧) بين نظرية السياق ونظرية الاستلزام الحواري، هيثم محمد مصطفى: ٢٥٧.

^(٢٨) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ٩٨.

^(٢٩) تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد زيد: ٤٠.

^(٣٠) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤.

وبهذه المبادئ قدم (غرايس) قواعد لضبط الخطاب المثالي، وأي خروج على هذه المبادئ يدفع بالمتلقي للتفسير والتحليل المبني على الافتراضات للوصول إلى النتائج المقصودة، فكل من المتكلم والمخاطب يلتزمان بمبدأ التعاون المنصوص عليه، ومتى بدا من أحدهما ظاهر الإخلال بهذه القاعدة أو تلك وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى المصروف إليه يحصل بطرق الاستدلال من المعنى الظاهر، ومن القرائن، وذلك بالذات ما عبّر عنه بـ(الاستلزام الحواري)"^(٣١).

فانتهاك أو خرق هذه المبادئ يولّد المعنى المستلزم الذي يسعى المتلقي للوصول إليه باعتباره هدف المتكلم من وراء الخطاب، و أمثلة هذه الانتهاكات في هذه المبادئ نوضحها بالآتي:

١. "في حوار يجري بين أم (أ) وولدها (ب)

أ – هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

ب _ اغتسلت.

في هذا الحوار خرق أو انتهاك لمبدأ الكم، لأنّ الأم سألته عن أمرين، فأجاب عن واحد، وسكت عن الثاني، أي أنّ إجابته أقل من المطلوب، ويستلزم هذا أن تفهم الأم أنه لم يضع ثيابه في الغسالة"^(٣٢). فكل من المرسل والمستقبل بنى كلامه على معلومات مشتركة يفترض بطرفي الخطاب أن يكونا على علم بها وأية زيادة أو نقصان في كمية المعلومات يعد اختراقاً لمبدأ الكم، فيدرك المتلقي ذلك، ويسعى للوصول إلى هدف المتكلم.

٢. وفي حوار بين تلميذ (أ) وأستاذ(ب) وكلاهما انجليزي:

أ _ طهران في تركيا، اليس هذا صحيحاً يا أستاذ؟

ب _ طبعاً ولندن في أمريكا.

في هذا الحوار انتهك الأستاذ مبدأ الكيف الذي يقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه، وأن لا يقول ما لا دليل عليه، وقد انتهكه الأستاذ عمداً ليظهر للتلميذ أنّ إجابته غير صحيحة، ويؤنبه على جهله. والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ، لأنه يعلم أن لندن ليست في أمريكا، وذلك يستلزم أن الأستاذ يقصد بقوله شيئاً غير ما تقوله كلماته، وهو أنّ قول التلميذ غير صحيح"^(٣٣).

^(٣١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن : ١٠٤.

^(٣٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٦.

^(٣٣) المصدر نفسه: ٣٦.

وبالتالي فلا بد من أن تتصف مساهمة المتخاطبين بالوضوح والصدق، فأى تجاوز لهذا المبدأ يعد اختراقاً لمبدأ الكيف، يسعى المتلقي إلى سلوك مناحٍ مختلفة للتحليل والتفكير، للوصول إلى المعنى المستلزم.

٣. "في حوار بين رجلين:

أ_ أين زيد؟

ب_ ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو.

فما قاله (ب) بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، فهو ينتهك مبدأ (العلاقة) المناسبة بالموضوع، ولكن السامع في ضوء المبادئ الأخرى للتعاون يسأل نفسه، ما هي العلاقة الممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل عمرو وسؤالي عن مكان زيد؟ ثم يصل إلى أن المراد بهذا القول إبلاغه رسالة مؤداها أنه إذا كانت لزيد سيارة صفراء فلعله عند عمرو^(٣٤). فنلاحظ أن المتكلم عمد إلى أسلوب الإيهام واللبس بغية إدراك المتلقي الغاية التي يتوخاها من الخطاب بطريقه غير مباشرة، ووصل إلى هدف المتكلم نتيجة خرق مبدأ العلاقة أو المناسبة الكلامية.

٤. في حوار بين رجلين:

أ_ ماذا تريد؟

ب_ قم واتجه إلى الباب وضع المفتاح في القفل ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق. وواضح أن فيما قاله (ب) انتهاكاً لمبدأ من مبادئ الطريقة، وهو (أوجز) إذ كان يكفي أن يُقال: افتح الباب. وإذا نظرنا إلى هذا القول في ضوء تحقيق مبادئ الحوار الأخرى كان لابد أن المتكلم يحاول به وجهاً غير ما يظهر، قد يكون مؤاخذه على ما يتميز به بين بطة وتكاسل^(٣٥).

فلاحظنا كيف تم اختراق مبدأ الطريقة، إذ عمد المتكلم إلى الإسهاب فاستلزم حوارياً معنى ضمناً سعى إليه المتلقي في سبيل اكتشاف المعنى المقصود لتحقيق التواصل الناجح. وقد اشترط (غرايس) لتحقيق الاستلزام الحوارى أن يأخذ المتكلم بعين الاعتبار المعطيات الآتية:

١. المعنى الحرفي للكلمات المستعملة وتعريف العبارات الإحالية.

٢. مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه.

٣. السياقان: اللغوي وغير اللغوي للخطاب.

^(٣٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٧.

^(٣٥) المصدر نفسه: ٣٧.

٤. عناصر أخرى تتصل بالخلفية المعرفية يجب على المساهمين في الحوار أن يكونوا على علم بالمعطيات الأنفة الذكر، وأن يصدر أثناء عملية التحوار على افتراض هذه المعطيات^(٣٦).
 "ولا تمثل قواعد المحادثة مجرد معايير ينبغي للمخاطبين اتباعها فحسب، بل تمثل ما ينتظرونه من مخاطبيهم فهم مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوك، وعلى هذا تتخبط قواعد المحادثة بوضوح في التيار المعرفي خلافاً للقواعد المعيارية والتوضيحية الخاصة بنظرية الأعمال اللغوية التي رأينا صلتها بأطروحات السلوكيين. فقواعد المحادثة لا تستند إلى مجرد القدرة على اكتساب حالات ذهنية، بل إلى القدرة كذلك على إسناد مثل هذه الحالات وخصوصاً قدرتها على نسبة مقاصد"^(٣٧).

وتكمن الأهمية التداولية لنظريه (غرايس) في أمرين:

الأول: "أنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية.

الثاني: أنها لأول مرة منذ ظهور المفاهيم التداولية حُجزت موقعها في اللسانيات ولا سيما موقعها من علم التراكيب"^(٣٨). غير أن هذه القواعد التي قدمها (غرايس) لم تكن كافية لدى علماء اللغة المهتمين بالتواصل اللغوي، ذلك بأنه اهتم بالجانب التبليغي على حساب جوانب أخرى أُضيفت لا تقل أهمية عنه.

ونخلص إلى أن مصطلح (الاستلزام الحواري) يعد من المصطلحات المهمة في النظرية التداولية الحديثة التي تبلورت على يد (غرايس) منطلقاً من فكرة الأفعال غير المباشرة التي ربطها بأساليب الحوار والمحادثة التي تقوم على مبدأ التعاون الذي فرّع منه أربعة مبادئ أساسية، وأي خرق لهذه المبادئ يولد الاستلزام الحواري مع التمسك بمبدأ التأدب إلى جانب مبدأ التعاون بين المتحاورين والمبادئ الاجتماعية المختلفة التي تتفاضل فيما بينها تبعاً للغاية والوظيفة المتوخاة من الخطاب.

الاستلزام الحواري في التراث العربي

إن تراثنا النحوي أبدع في مراعاة المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما أيّما إبداع، فبفهم العلاقة بينهما تخطّى حدود الشكل إلى مراعاة المعنى المقامي باعتباره يعكس اللغة في وجه المنجز، ويتجلى من خلاله فهم جهات التخاطب أو العلاقة بين المتخاطبين، وهناك جهود عظيمة بذلها جهابذة اللغة وعلوم الشريعة

^(٣٦) الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٠٤.

^(٣٧) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار: ٥٧.

^(٣٨) التداولية وصلتها بالسنن البنوية والسيميائية، سامي شهاب أحمد: ٨٩.

والفلسفة في تراثنا العربي في وضع الأسس لكثير من العلوم اللغوية المعاصرة، لا سيما الاستلزام الحواري فمن أمثلة ذلك:

• تنبه الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الى وجود ضربين من الكلام "ضرب أنت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً، هو غرضك كمعرفتك من (كثير رماد القدر) أنه مضياف، وإذا عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى، ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يُفْضِي بك ذاك المعنى إلى معنى آخر^(٣٩)، فالأولى تدرك إدراكاً عقلياً محضاً، في حين أن الثانية قد تكون استجابة نفسية للكلمات، وقد تكون استلزمات منطقية أو عقلية^(٤٠). فقد ميّز الجرجاني بين المعنى الحرفي (ظاهر اللفظ) والمعنى المستلزم معنى المعنى، وهو مقصود المتكلم، وبَيَّن لنا سبيل الوصول إليه عن طريق الاستدلال، وهذا جوهر نظرية الاستلزام الحواري من المنظور اللساني الحديث.

• وقد تنبّه الأصوليون الى ظاهرة الاستلزام الحواري، إذ اتسمت دراستهم بالعمق والدقة والشمول، لأنهم أرادوا الوصول الى مقاصد المتكلم الله عز وجل في خطابه للمكلفين للوصول إلى التفسير الصحيح والحكم الشرعي الصحيح، فنجد ابن قيم الجوزية في إحدى القواعد يقول: "سال تلميذُ استاذَه أن يمدحه في رقعة إلى رجل، ويبالغ في مدحه بما هو فوق رتبته، فقال: لو فعلت ذلك لكنت عندنا المكتوب اليه مقصراً في الفهم، حيث اعطيتك فوق حَقِّك، أو متهماً في الإخبار، فأكون كذاباً، وكلا الأمرين يضرّك، لأنني شاهدك، وإذا قُدِّح في الشاهد بطل حق المشهود له"^(٤١). حيث أشار هنا إلى مبدأ من مبادئ التعاون التي نص عليها (غرايس) وهو مبدأ الكيف الذي ينص على أن لا تقول ما تعلم كذبه، ولا تقول ما ليس لك عليه بَيِّنَة، فقد سبق ابنُ القيم (غرايس) بمئات السنين بإحدى مبادئه.

وقد نص على ضرورة مراعاة المتكلم لقواعد التخاطب، "فلا يجوز أن تطلب من المخاطب فوق طاقته، أو أن تسأله ما لا يليق، أو تتأديه بصوت عال، أو أن تقول ما لا تعتقد بصحته"^(٤٢)، ويمضي

^(٣٩) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٦٢، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١١٨-١٢٢.

^(٤٠) الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، عيسى تومي: ٧٣-٧٤.

^(٤١) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: ١١٢٥.

^(٤٢) البعد التداولي عند الأصوليين، يوسف سليمات عليان، مجلة جامعة أم القرى، العدد: (٥٣): ٤٩٠.

ابن القيم في مواضع مختلفة في كتابه (بدائع الفوائد) بضرب الأمثلة التي توضح كثيراً من قواعد الخطاب، فقد اهتم بمبدأ التأدب، فضلاً عن تطرقه لبعض مبادئ التعاون بين المتكلم والمخاطب. وقد تحدث الماوردي (ت ١٠٨٥م) في كتابه أدب الدنيا والدين عن قواعد التخاطب، إذ حدد شروط الكلام في الآتي:

١. "أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
٢. أن يأتي به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.
٣. أن يقتصر منه على قدر حاجته.
٤. أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به"^(٤٣). وبهذا نجد هذه الشروط تشبه إلى حد كبير مبادئ التعاون التي حددها (غرايس) والتي أشرنا إليها آنفاً.

• يقول ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ): "والخبر أوسع المعاني، وهو أن يخبر المتكلم غيره بما يفيد معرفته، وحده: دخول التصديق والتكذيب فيه"^(٤٤)، وقال في موضع آخر: "وهو أن يخبر المتكلم المُكَلَّم بما يفيد معرفته"^(٤٥). فقد جعل ابن الشجري معيار الصدق والكذب الضابط الأول في التفرقة بين الخبر والاستخبار، لكنه لم يغفل عن كون الكلام قد يساق بطريقة الخبر، لكنه يستلزم معنى آخر وفقاً لمتطلبات المقام بظروفه المختلفة (الاستعمال)^(٤٦). وبهذا نجد أن العلماء والمفكرين العرب قدّموا قواعد في الاقتضاء التخاطبي ومبادئ اجتماعية تخاطبية سبقت المبادئ التداولية وقواعد التخاطب لدى فلاسفة اللغة وعلماء التواصل اللغوي.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي

الاستلزام الحوارية في المجموعة القصصية (فوق بلاد السواد)

- ❖ - أتدريين يا كاترين؟
- لا .. لا أدري عمن تقصد يا سعيد؟
- عن مكّي القرع الذي تراءى له الجن في الطريق؟

^(٤٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي: ٢٨٣.

^(٤٤) الأمالي: ٣٩٠/١.

^(٤٥) المصدر نفسه: ٤٢٤/١.

^(٤٦) ينظر: أصول الاستلزام الحوارية من صنيع ابن الشجري في أماليه، د. أيمن فتحي عبد السلام زين: ١٣٤

-كلا لا أدري عنه شيئاً، ولم أسمع به من قبل، لم تحدثني عنه يا صديقي؟ أفرع وجن؟ كم تبدو مشوقة هذه الحكاية! بالله عليك احكها يا سعيد" (٤٧).

السياق: حدث الحوار بين (سعيد) وصديقه النرويجية (كاترين)، بعد أن كان مستلقياً على الأريكة، ومطبقاً عينيه، في حين أن صديقه كانت منشغلة في المطبخ تعد له شراب القرفة، وأيقظته بعد أن أنهت عملها.

الاستلزام: نجد أن جواب (كاترين) فيه خرق لمبدأ الجهة أو الصيغة، وكان عليها الإيجاز، إذ كان بإمكانها أن تجيب بـ(كلا، لم أسمع به)، وهنا ندرك أن كلام (كاترين) يحمل قصداً آخر، وهو أن صديقها سعيداً لم يفق تماماً من نومه، وأرادت بذلك أن يسترسل بكلامه وأن لا يعود للنوم مرةً أخرى.

❖ "أنهى المذيع بيانه الحماسي بأن قواتنا المسلحة لم تتلق أية خسائر تُذكر، أغلق مكي المذيع وهو يقول: وهذا المشدود على السيابية؟ فرخ دجاج يا ابن الكلب؟" (٤٨).

السياق: السائق (مكي) يحمل فوق سيارته جنازة أحد ضحايا الحرب العراقية الإيرانية، متجهاً نحو مقبرة وادي السلام، وأدار مذيع سيارته على إذاعة بغداد، ليستمتع لنشرة الأخبار، وكان المذيع يقرأ بياناً يعدد فيه خسائر العدو في معركة تاج المعارك شرق البصرة.

الاستلزام: نجد أن في كلام (مكي): (وهذا المشدود على السيابية؟ فرخ دجاج يا ابن الكلب؟!) خرقاً لمبدأ الكيف، إذ يتطلب ألا يقول إلا ما يرى فيه الصواب، وما يملك عليك دليلاً، فالانتهاك هنا مقصود من أجل إظهار حالة التذمر والسخط من نتائج هذه الحرب، وعدم الاكتراث بقيمة الإنسان الذي عبّر عنه بـ(فرخ دجاج).

❖ - "نبيل...نبيل

- بلي كاكه

- حضّر نفسك، كل شي خلص.

- شنو يعني؟ راح اطلع؟ قال نبيل مندهشا.

- إشششش، لا يسمعوك الزباين..إي راح تطلع، وهذا جوازك صار جاهز، يله فوت غير ملابسك وتعال، راح يجي عليك جمال ياخذك بالسيارة" (٤٩).

(٤٧) فوق بلاد السودان: ٩ - ١٠.

(٤٨) المصدر نفسه: ١١.

(٤٩) فوق بلاد السودان: ٢٥ - ٢٦.

السياق: نبيل صبي يتيم، قُتل والداه في حرب الخليج، فنشأ في ملجأ للأيتام، يعمل صباحاً في تلميع أحذية المارة في شارع الرشيد ببغداد، وفي الليل يعمل في إحدى بارات بغداد يغسل الصحون، وينظف الحمامات، وصاحب البار شخص يُدعى (كاكه حمه)، إذ أن نبيل فاتحه في أحد الأيام بالهجرة إلى اليونان، وطلب منه أن يساعده في ذلك.

الاستلزام: نلاحظ أنَّ (كاكه حمه) قد خرق مبدأ من مبادئ التعاون وهو الصيغة أو الجهة، فكان بإمكانه أن يوجز إجابته، لكنه لم يفعل، ومن هنا ندرك أن كلامه يحمل قصداً آخر، وهو أنَّ نبيلاً كان شخصاً ساذجاً، وبطيئاً، فأراد أن يعجله قبل أن ينكشف أمره.

❖ _ "العفو، مكن سؤال؟ اعترض نبيل طريق أحد المسافرين، ظناً منه بأنه عراقي.
- لم يجبه الرجل" (٥٠).

السياق: نبيل مهاجر عراقي بطريقة _ غير شرعية _، تائه بين صالات مطار أتاتورك، وهو في طريقه إلى اليونان.

الاستلزام: نجد هنا انتهاكاً لمبدأ الكم، إذ أنَّ هذا المسافر العابر لم يجب عن سؤال نبيل، وهنا ينبغي على نبيل أن يدرك أنَّ هذا المسافر يرفض المساعدة، وأنه لا يريد الإجابة بـ (لا) حتى لا تحمل إجابته على شيء لم يقدّمه.

❖ "ضغط على زر الطوارئ المتدلي قرب الوسادة، فحضرت على الفور ممرضة كانت تجلس في غرفة جانبية تراقب وضع القلب عبر جهاز طبي أمامها. أوماً بيده نحو فمه، ففهمت بأنه عطشان، وجلبت له قدح ماء" (٥١).

السياق: يوسف مهاجر عراقي يقيم في السويد، تعجُّ ذاكرته بالذكريات السيئة، وقصص الموت، ومشاهد الدمار التي خلقتها الحرب، وهو هنا يرقد في أحد المشافي السويدية بعد هجرته لإجراء عملية كبرى في قلبه، بعد أن أفاق من التخدير كان القلق يساوره أنه قد أفشى سراً من أسرارهِ التي يحتفظ بها.

الاستلزام: نجد هنا أيضاً انتهاكاً لمبدأ الكم، إذ أن يوسف لم يتقوّه بكلمة، بل إنه أشار بيده نحو فمه فحسب، ففهمت الممرضة أنه عطشان.

❖ - أخبرتني أمي ذات يوم بأنني خرجت إلى الدنيا جثة هامة، فوضعتني نعيمة الداية في سطل لترميني في النهر.

- وهل فعَلْتُ؟

(٥٠) المصدر نفسه: ٢٧.

(٥١) المصدر نفسه: ٤٣.

- بالطبع لا، وإلا لما كنت جالسا أمامك الآن" (٥٢).

السياق: (عذاب) مهاجر عراقي هرب من بطش السلطة، وفي بلاد المهجر دعت صديقه (سونيا سولبيرغ) إلى بيتها لقضاء سهرة، وكانت رسامة، وطلبت منه أن يتعري ويجلس على الكرسي كي ترسمه، حصل هذا الحوار أثناء الرسم.

الاستلزام: نجد أن انتهاك الجملة وقع في قوله: (وإلا لما كنت جالسا أمامك الآن)، إذ خرق (عذاب) مبدأ الكم، لأن جوابه كان أكثر مما تطلبه سؤال (سونيا)، وكان بمقدوره أن يجيب بـ(لا) لكنه خرق مبدأ الكم وزاد، فالمعنى المستلزم من وراء ذلك هو السخرية من شرود ذهن سونيا، فقد كانت مشغولة بالرسم ولم تنتبه لما قاله (عذاب) آنفا.

❖ " لقد صرخ بصوت كاد يسكت قلبي الصغير لولا رحمة ربي، ثم هدّد ملوحاً بعصاه الطويلة: ولك انجب لا أصلخ جلدك صلخ... منين جبت هاي السوالف الطايح حظها، بعدك بكد الكلمة، إذا كبرت شلون" (٥٣).

السياق: سأل الصبي معلم الدين (جبار) وكان رجلاً فظاً عن مصير الإنسان بعد الموت، فأخبره على مضض بأنه سيذهب للقبر، وبعدها إما إلى الجنة إذا كان مؤمناً، أو إلى النار إذا كان كافراً، لكن الصبي كان قد سمع جملة من أحد أصدقاء أبيه وهي أنّ الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ، فدار في ذهنه سؤال: كيف يشعر الكافر بالعذاب وهو ميتٌ أصلاً!، فكان هذا جواب معلم الدين (جبار) على سؤاله.

الاستلزام: حصل الانتهاك هنا في قوله: (إذا كبرت شلون؟!)، فهنا لا يمكن أن نفهم السؤال بمعانيه المعجمية المجردة بمعزل عن السياق، إذ يحمل هذا السؤال معاني مستلزمة، فهو استفهام مجازي لا يُحمل على حقيقته، بل يُراد منه المبالغة في الإنكار والتوبيخ، وهو أنه سيصبح أكثر إلحاحاً وجرأة بطرح الأسئلة كلما كُبر، وسيصبح زنديقاً.

❖ - شنو تهتمك أبو الشباب؟

- حمد لو حمود؟ (٥٤)

السياق: حمد رجل بدوي يسكن في بادية السماوة كان يعمل راعياً لثمانين رأساً من الغنم يتقاسمها مع أخيه (حمود)، وقد سبق حمد في يوم من الأيام إلى السجن وتعرض لأبشع أنواع التعذيب دون معرفة الأسباب، ليتبين فيما بعد أن أحد الرعيان قد وشى به حسداً، إذ أوصل وشاية إلى الفرقة الحزبية بأن حمود البدوي

^{٥٢} فوق بلاد السودان: ٥٤.

^{٥٣} المصدر نفسه: ٧٥.

^{٥٤} فوق بلاد السودان: ٧٧.

يسبب الحزب والثورة كلما طلع النهار، فأمسكت السلطات بحمد ظناً منهم أنه (حمود). ودار الحوار السابق بينه وبين اثنين من الموقوفين في السجن معه بعد سألوه عن تهمة.

الاستلزام: الانتهاك هنا حصل لمبدأ الملائمة، فالجواب غير ملائم للسؤال، فهم سألوه عن تهمة، فأجابهم (حمد لو حمود؟) والمعنى المستلزم من وراء ذلك هو التأكيد على هوية المتهم، فهو يريد أن يخلص نفسه، ويثبت لهم أنه حمد وليس (حمود).

❖ " ولكنني انزلت من الحائط، وسقطت في أحضان كلب (ارضيوي) الملقب بـ(شلوع)، فكان كلباً شرساً أكرم ضيافتي، لم يقصر في استقبالي" (٥٥).

السياق: الحديث هنا عن مراهقٍ حاول أن يقوم بعملية ضد إحدى المقرات الحزبية، وهي رمي وتحطيم الزجاج الخلفي لبناية المقر الحزبي بالحجارة، ثم لاذ بالفرار، لكنه انزل من الحائط ووقع بين فكي كلب مفترس.

الاستلزام: هنا حصل انتهاك لمبدأ الكيف في قوله (أحسن ضيافتي، ولم يقصر في استقبالي)، فالكلب لا يقع منه حسن الاستقبال أو كرم الضيافة، والمعنى المستلزم وراء ذلك هو أن الكلب قد عضه عضاً شديداً في كل نواحي جسمه، خصوصاً وأن السياق التهكمي يوحي بذلك، فقد سبقه ما يؤيد هذا المعنى، وهو قوله: (وكان كلباً شرساً).

❖ - "حمودي، شلون تجيها للطريق؟

- الخطة جاهزة وما عليك سوى أن تثق بقدراتي التكتيكية في طريق العشق والغرام.

- اوكي، تفضل سولف يا رشدي أباطة" (٥٦).

السياق: الحوار بين مراهقين يقرر أحدهما (محمد دكمة) أن يعشق (عروبة) ابنة الرفيق الحزبي الكبير (خزعل)، وهي خطوته الأولى للتقرب من عالم السياسة، فيسأله صديقه: كيف تستطيع أن تقنعها أو تصل إليها.

الاستلزام: في قوله (تفضل سولف يا رشدي أباطة) خرق لمبدأ الكيف: (لا تقل ما تعلم خطأه)، ووصف صديقه بأنه (رشدي أباطة) يستلزم معنى السخرية، والتشكيك بقدراته العاطفية، وقدرته على الإقناع، فشتان بين الاثنين، إذ أنّ رشدي أباطة ممثل مصري عُرف بأدواره الغرامية، ومغامراته الرومانسية، وقدرته الفائقة على جذب الحسانات وإقناعهن، وهذا ما لا يملكه (محمد دكمة)، بل العكس تماماً، فخرق مبدأ الكيف هنا يقتضي السخرية والتهكم، وهو تشبيه الشيء بنقيضه.

^{٥٥} المصدر نفسه: ٨٣.

^{٥٦} فوق بلاد السودان: ١٠٧.

- ❖ - "هل أزعجك أمرٌ ما؟ قال بعدما فرغ من قياس الضغط
- هه.. قل ما الذي لم يزعجك، رددتُ.
- اممم، هذا يعني أنك ما زلت تستمع إلى نشرة الأخبار!"^(٥٧).
- السياق:** يدور الحوار بين مهاجر عراقي وصديقه الطبيب (كاسبر)، بعد أن ذهب المهاجر العراقي إلى عيادة الطبيب لأنه أحس بارتفاع ضغط الدم.
- الاستلزام:** في قول الطبيب: (هذا يعني أنك ما زلت تستمع إلى نشرة الأخبار) انتهاك لمبدأ العلاقة أو الملائمة، فالمعنى الظاهر أو السطحي لا توجد علاقة بين الاستماع لنشرة الأخبار وارتفاع ضغط الدم، لكن الاستلزام الحواري يوضح المعنى الضمني لمقولة الطبيب، وهو أنَّ هذه الأخبار سيئة، ومحزنة.
- ❖ - هل أنت سعيد في النرويج؟
- ممم، بصراحة النرويج حلوة، وتشبه العراق من حيث الأمان والخدمات، لكن هنالك فرق في الرائحة، رائحة العراق أطيب^(٥٨).
- السياق:** حوار يدور بين مهاجر عراقي في النرويج وصديقه (كاترين)، بينما كانوا يشربون الشاي، ويتبادلون الحديث عن الزهور وزراعتها، وأن العراق يستورد سنوياً عشرين مليون طن من زهرة التوليب كي يزيّن بها الحدائق والساحات العامة.
- الاستلزام:** نلاحظ أن جواب المهاجر العراقي على سؤال صديقه (كاترين) فيه انتهاك لمبدأي الكم والكيف، فكان من الممكن أن يجيب بـ(نعم) أو (لا)، لكنه استطرد وأسهب في إجابته حين شبّه العراق بالنرويج من حيث الأمان والخدمات، فقد خرج الأسلوب الخبري عن معناه، وهي الإفادة، فلا إفادة من جوابه، لأن المتكلم خالف مبدأ الحوار ولا سيما الصدق، فلم يكن صادقاً، ويكمن السر في هذا العدول إلى معنى أعلى ووجه، إذ أن جوابه لا تبدو فيه للوهلة الأولى أية علاقة مع مضمون السؤال، فتشبيه العراق بالنرويج من حيث الأمان والخدمات انتهاك لمبدأ الكيف (لتكن صادقاً فيما تقوله، ولا تقل ما لا دليل على صدقه)، والسياق في الحوار السابق لا يساعد على تفسير الألفاظ حرفياً، لكن الاستلزام الحواري يكشف عن المعاني الدفينة خلف ذلك، وهو أن المهاجر العراقي يقصد خلاف ذلك، وأن كلامه محمول على السخرية والتهمك.

^(٥٧) المصدر نفسه: ١٣٢.

^(٥٨) فوق بلاد السودان: ١٣٦.

ونلاحظ أيضا أن قوله (بصرحة النرويج حلوة) فيه انتهاك لمبدأ الملائمة، فهي سألتها عما إذا كان سعيدا في النرويج أو لا، فالجواب المناسب على سؤالها هو نعم أو لا، لكنه أجاب بـ(النرويج حلوة)، وبهذا فإن الاستلزام الحوارية يقتضي بأنه سعيد بالعيش فيها وإن لم يقل هذا صراحة.

نتائج البحث

- ثمة مبادئ حوارية وضعها غرايس تنظم عملية الحوار بين المتخاطبين، يجب على طرفي الحوار احترامها، وبمخالفتها ينزاح الكلام إلى معانٍ استلزامية أخرى، يُكشف عنها بحسابات معروفة.
- هناك جذور وأصول في التراث العربي لنظرية الاستلزام الحوارية تمثلت في كتابات البلاغيين والنحويين والأصوليين. وإن دراسة معاني الكلام وفقا لمتطلبات السياق والمقام بظروفه المختلفة لم تكن غريبة عن النحاة العرب، إذ فرّقوا بين المعنى الدلالي والمعنى التداولي.
- اللفظ المستعار في النظرية التداولية لا يساوي اللفظ الحقيقي، والأفكار التي تستدعي الاستعارة لا يمكن التعبير عنها باللفظ الحقيقي، فالاستعارة ليست مسألة جمالية، بقدر كونها حاجة ملحة يفرضها السياق.
- لم تكن نظرة الكاتب (أزهر جرجيس) لنظام الحكم نظرة تفاؤلية، فنجدته يائسا متشائما من طريقة الحكم الشمولية المستبدة، فنجدته في كثير من المواضع يرى أن خلاص الإنسان واسترداد قيمته وكرامته هي بزوال تلك الأنظمة، حتى وإن دعا إلى ذلك بسخرية ومفارقة واضحة.
- خالف الكاتب مبادئ الحوار في مواضع كثيرة في هذه المجموعة القصصية، وانزاحت كثير من الحوارات عن اللفظ الحرفي والمعاني المعجمية إلى معانٍ استلزامية تمثلت في خروج الخبر والإنشاء الطلبي عن أغراضهما الحقيقية، والكلمات عن دلالتها الحرفية، وكانت السخرية والتهكم أهمّ تجلياتها.

مصادر البحث

أولاً: الكتب المطبوعة

- ✓ أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، ط٤، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- ✓ الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي ادراوي، ط١، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الجزائر، ٢٠١١م.
- ✓ الاستلزام الحوارية في كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني -مقاربة غرايسية، زهوة عاشور، الجزائر، ٢٠١٤.

- ✓ أصول الاستلزام الحواري من صنيع ابن الشجري في أماليه، د. أيمن فتحي عبد السلام زين.
- ✓ آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٢م
- ✓ الأمالي، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسن العلوي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.
- ✓ بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، د. ط، د.ت.
- ✓ بين نظرية السياق ونظرية الاستلزام الحواري، هيثم محمد مصطفى، ط١، مؤسسة السياب، لندن، ٢٠١٢م.
- ✓ تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، ط١، دار الشمس، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ✓ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- ✓ التداولية وصلتها بالسنن البنوية والسيميائية، سامي شهاب أحمد، ط١، مؤسسة السياب، لندن، ٢٠١٢م.
- ✓ التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، ط١، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٠م.
- ✓ دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، علق عليه: محمود محمد شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.
- ✓ فوق بلاد السواد، أزهر جرجيس، دار الرافين، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٩م.
- ✓ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، دار البيضاء، ٢٠٠٠م.
- ✓ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
- ✓ المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، الجزائر.
- ✓ مدخل إلى مقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني، ط١، دار الكلمة، ٢٠١٠م.
- ✓ المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش.
- ✓ النظرية البرجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣م.
- ✓ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ثانيا: الرسائل والأطاريح

- ✓ الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، عيسى تومي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٤م.
- ✓ الاستلزام الحوارى فى خطب نهج البلاغة الطوال (دراسة تداولية)، على عباس فاضل، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م.
- ✓ أفعال الكلام فى سورة مريم دراسة تداولية، حدادي صباح، بوعنداس سوسن، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمن ميرة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٧م.

ثالثا: البحوث والدوريات

- ✓ الاستلزام الحوارى عند ابن جنى فى كتابه الخصائص - مقارنة تداولية- ، حيدر جاسم جابر، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات، العدد: ٢٨، المجلد: ٢٠١٨، جامعة واسط، كلية الآداب، ٢٠١٨م.
- ✓ البعد التداولي عند الأصوليين (ابن قيم الجوزية فى كتابه بدائع الفوائد) أنموذجا، يوسف سليمان عليان، مجلة جامعة أم القرى، العدد: ٥٣، ١٤٣٢هـ.